

من أرب الفهر التاسع

كتاب « سحر العيون »

للأستاذ أحمد يوسف نجاتي

- ٢ -

٦ - ومن أولاد أبي الوليد بن الشحنة أوحده الدين عبد اللطيف بن محمد بن محمد بن محمد بن محمود : ولد سنة ٧٨٨ وتلقى العلم ببلده وبالقاهرة ، وولى قضاء مدينة « صفد » صراً ، وناب في القاهرة عن قاضيها^(١) وتوفى بها بالطاعون^(٢) سنة ٨٣٣ هـ . رحمه الله

وهؤلاء المتقدمون من بني الشحنة أدركهم الموت قبل مولد البدرى صاحب « سحر العيون » ؛ وأما الذين عاصرهم البدرى وانتهى إليهم قلمهم :

٧ - عبد الدين أبو الفضل بن المحب أبي الوليد المتقدم ابن كمال الدين ، فهو محمد بن محمد بن محمد بن محمود وهو من أشهر بني الشحنة وأسيرهم ذكراً : ولد بمدينة حلب سنة ٨٠٤ ، فهو أسن من البدرى بنحو ٤٣ سنة ، وسافر مع والده صبيهاً لم يبلغ عشر سنين إلى مصر ، ثم قدم إليها مستقلاً بنفسه بعد ذلك ، وتلقى العلم بمدن الشام ومصر ، ووجد في الطلب ، وأخذ

(١) هو القاضي زين الدين عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن علي ابن همام اللقني المصري توفى سنة ٨٣٥

(٢) في سنة ١٨٣٣ اشتدت وطأة الطاعون بالشام ومصر قال ابن حجر أركب أربون قساً مركباً يقصدون الصيد فاصطدمت منهم في طريق حقي مات الجميع وأن ثمانية عشر صياداً اجتمعوا في مكان فان منهم في يوم واحد أربعة عشر فجزم الأربعة فان منهم وم في الطريق ثلاثة ظم وصل بهم الآخر إلى القبرة ماتوا

عن كثيرين من أجلاء عصره بالقطرين ، وكان آية في الدكاء ، وقوة الحافظة حتى قيل فيه :

سمح الزمان بمثله فاعجب له إن الزمان بمثله لشحيح
فالأصل ذاك والخلال حميدة والذهن صاف واللسان فصيح
وفيه يقول بعض شيوخه^(١) :

أقسمت إن جدّ وطال المدى أروى الورى من بحره الزاخر
قل لن بالسبق قد فضلوا (كم ترك الأول للآخر ؟)

ولما كملت أداته ، ولى الوظائف الجليلة من قضاء وتدرّس ونحوها فولى قضاء الحنفية بمدينة حلب سنة ٨٣٦ وعظمت رياسته وظهرت كفايته ، وانطلقت الألسنة بذكره ، وظل في مدة الظاهر جعق^(٢) بين رفعة وخفض وولاية وعزل حتى ولى كتابة السر بالقاهرة سنة ٨٥٧ ، ولم يلبث أن صرف عنها وبقي بالقاهرة حيناً من الدهر في عيشة غير راضية ، ثم رحل إلى بيت المقدس وأقام بها إلى سنة ٨٦٢ ثم عاد إلى وطنه حلب . ثم ولى كتابة السر بالقاهرة ثانية سنة ٨٦٣ ، فسار فيها سيرة مشكورة وأقبل

(١) هو بدر الدين محمد بن أبي بكر بن محمد بن سلامة اللارديني الحلبى الحنفى كان تقياً فاضلاً متقناً علوم الشريعة واللسان ولد سنة ٧٥٥ وتوفى بحلب سنة ٨٣٧

(٢) هو الملك الظاهر أبو سعيد جعق بن عبد الله اللاتى الظاهرى ولى سلطنة مصر والشام سنة ٨٤٢ وكان ملكاً جليل القدر عظيم السلطان قد صفا له الوقت وطابت في زمنه الأيام وعمر كثيراً من المساجد والمدارس والفتاوى والجور ، وعمر مسجد الحيف بطنى ، ووجد في الحرم الشريف مواضع ، وكان قد حب إليه البر وعمل الخير فأتفق في سبيل ذلك أموالاً طائلة ، وكان محباً لطلباء والفقهاء والأشراف والمصلحين مكرماً لهم جواداً عف الذليل واليد واللسان شجاعاً تقياً فاضلاً ، وأخذ بنيه بالتحفة في الدين وتلقى العلم عن أجلاء عصره (وكان ابنه نور الدين أبو المطالى محمد المولود في سنة ٨١٦ ماهراً في السلم حافظاً لقرآن الكريم ، وله ألف ابن ترمى بردى كتابه « الجيوم الزاهرة » ، وأدركته منيته في سنة ٨٤٧) وحى الشة التي ولد فيها صاحبنا البدرى) ، ثم لما أحسن الملك الظاهر جعق بذنوا أجله خلق نفسه من الملك في أوائل سنة ٨٥٧ وعهد بالأمر إلى ولده الملك للنصور عثمان ، ولم يلبث أن توفى في ٣ صفر سنة ٨٥٧ ، وخلق ولده للنصور عقب ذلك وتولى الملك بعده الملك الأشرف إسماعيل اللاتى المذكور

أحد سلطاناً زهاء خمسة أشهر ، ثم خلعه أنابك (مرييه)
الملك الظاهر « خشمدم » سيف الدين في شهر رمضان سنة ٨٦٥
التي كان سلطاناً باراً محباً للخير توفى في شهر ربيع الأول
سنة ٨٧٢ .

وتقد كان المحب بن الشحنة أبو الفصل عالماً جليلاً أديباً
فصيحاً بديع النظم والنثر سريعهما حلو الحديث حسن المشرة
يميل إلى النكتة اللطيفة والنادرة الطريفة ، عذب الروح رقيق
الطبع على المهمة صبوراً على عن الدهر ورزايا الأيام ، ذا شغف
يجمع الكتب واقتناء النادر منها . وله مصنفات في الفقه والأصول
والحديث والتفسير والتاريخ وغيرها . وله من مطلع قصيدة وهو
بالقدس :

قلب المحب بدار البين مشغول كما حشاه بنار البعد مشغول
وطرفه الليل ساه ساهر أرق ودمعه فوق سخن الخلد يسبول
وله مما يقرأ على قافيتين :

قلت له لما وفي موعدي وما بقلبي لسواه اتفاق
وجاد بالوصل على وجهه حبي سما كل حبيب وقاق

وله يطلب الإجازة في سنة ٨٢٨ من الأستاذ العلامة أحمد
ابن حجر المشهور المتوفى سنة ٨٥٢ :

وإذ طاقت الأيام عن ثم تربك وضنّ زمانى أن أفوز بطائل
ككتبت إليكم مستجيزاً بلساني أبلّ اشتياق منكم بالرسائل
ومن مؤلفاته التاريخ المسمى (تزهة الناظر في روض الناظر)
وهو تاريخ كبير جملة كالشرح لتاريخ أبيه المسمى (روض الناظر
في علم الأوائل والأواخر) السابق . وله - كما في فهرس الدار -
كتاب (الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب) ضمنه تاريخ مدينة
حلب وآثارها ومما هدها ومما يبدها وجوامعها ومدارسها وغير ذلك
عما يتعلق بشؤون مملكة حلب التاريخية والجغرافية ، وجعله ذيلاً
على (بنية الطلب في تاريخ حلب) . تأليف العلامة للتؤرخ
كمال الدين أبي حفص عمر بن عبد العزيز بن أحمد بن أبي جرادة
المعقيل المعروف بابن المديم الحلبي المولود سنة ٥٨٦ والمتوفى سنة

عليه السلطان الأشرف « إينال » إقبالاً عظيماً حتى كان
هو النشئ لمعه في مرض موته لولده أحد الملوك « بالؤيد » ،
وبقى بعد ذلك بالقاهرة يتقصد وظائف القضاء والتدريس ،
ولاقى كثيراً من صروف الزمان ومتانسة الأقران حتى توفى
بالقاهرة في أوائل سنة ٨٩٠ . فبان من هذا أن الذي
أنشأ عهد « إينال » لولده « المؤيد » هو أبو الفضل المحب
الأصغر لا أبوه أبو الوليد المحب الأكبر المتقدم والمتوفى سنة ٨١٥ ،
ولكن رأيت في فهرس دار الكتب بالجزء الخامس صفحة ٢٧٣
ما يأتي :

« عهد للسلطان المؤيد أبي الفتح أحمد بن الملك الأشرف
« إينال » تأليف العلامة أبي الوليد قاضي القضاة محب الدين محمد
بن محمد بن محمد بن محمود بن غازي بن أيوب الشهير بابن الشحنة
التركي الحلبي الحنفي المولود سنة ٧٤٩ ، والمتوفى بحلب يوم الجمعة
الثاني عشر من شهر ربيع الآخر سنة ٨١٥ هـ أوله : هذا عهد
شريف تبسم ثمر زيمه لما قسم الخ (نسخة ضمن مجموعة في مجلد
مخطوطة بقلم ممتاز) رقم ٥٩ ؛ وهذا غير معقول ، فإن الملك
الأشرف سيف الدين أبا النصر إينال العلاني - وهو الثاني عشر
من ملوك الجراكسة - إنما ولي مملكة مصر في شهر ربيع
الأول سنة ٨٥٧ : (بعد وفاة أبي الوليد المحب الأكبر والده
أبي الفضل المحب الأصغر بنحو ٣٢ سنة) ؛ واستمر الملك الأشرف
« إينال » سلطاناً إلى أن خلع نفسه وعقد الولاية لولده الملك
المؤيد شهاب الدين أبي الفتح أحمد في ١٤ من جمادى الأولى
سنة ٨٦٥ بعد وفاة أبي الوليد بنصف قرن . (فيبني إصلاح
ما في فهرس الدار بنسبة المهدي إلى كاتبه ، وإنما كان الاشتباه ،
لأن ابني الشحنة هذين الأب وابنه يلقب كلاهما « بالمحب ابن
الشحنة » ، وإنما يميز بينهما بالكنية ؛ فكنية كاتب المهدي
أبو الفضل توفى سنة ٨٩٠ ، وكنية والده أبو الوليد وتوفى
سنة ٨١٥ . هذا ، وقد توفى الأشرف « إينال » عقب ذلك بيوم
واحد (١٥ جمادى الأولى سنة ٨٦٥) ، ومكث ولده المؤيد

٦٦٠؛ وقد انتهى في تاريخه إلى سنة ٦٥٠؛ ومنه بدار الكتب ١٤ جزءاً متتابعة في ثلاثة مجلدات . وقد رتب المحب بن الشحنة تاريخه على تمهيد وفاتحة وخمسة وعشرين باباً . وقد طبع بمدينة بيروت سنة ١٩٠٩ م ، و بدار الكتب الملكية نسخة منه قيمة رقم ٢٣٢٦ تاريخ ، وأخرى رقم ٢٣٢٧ . هذا وفي كشف الظنون في الكلام على (بنية الطلب في تاريخ حلب) لابن النديم ما يأتي :

والدليل عليه لأبي الحسن علي بن محمد بن سعد الحلبي الجربيني المعروف بابن خطيب الناصرية التوفي سنة ٨٤٣ ، رتب الأعيان على الحروف وبما (الدر المنتخب) . ولما طالمه الحافظ بن حجر حين قدم حلب سنة ٨٣٦ ألقى به أشياء كثيرة ثمينة وأثنى على صاحبه . ثم ذيل عليه موفق الدين أبو ذر أحمد بن إبراهيم بن محمد الحلبي التوفي سنة ٨٨٤ وسماه (كنوز الذهب في تاريخ حلب) . ولم يذكر في كشف الظنون أن ابن الشحنة ألف تاريخاً لحلب

اسمه (الدر المنتخب) فلمل جمع هذه الذبول قبل وفاته سنة ٨٩٠ وتصرف فيها ونسبها لنفسه - والله أعلم - أوله ألف تاريخاً لحلب مستقلاً واستعار اسمه من اسم تاريخ خطيب الناصرية . وقد يرجح هذا بما ذكره صاحب كشف الظنون في موضع آخر قال (كنوز الذهب في تاريخ حلب) لأبي ذر أحمد بن البرهان إبراهيم الحلبي التوفي سنة ٨٨٤ ذيل به (الدر المنتخب في تراجم أعيان حلب) . وأقول إذا علمت أن محب الدين بن الشحنة كان زوج السيدة خديجة بنت القاضي علاء الدين علي بن محمد بن سعد التقدم المعروف بابن خطيب الناصرية مؤلف (الدر المنتخب) هان الخطب ووضح المشكل ، على أنه يؤخذ من ترجمته الطويلة في الضمير اللامع أنه ألف تاريخين وذكر له عدة مؤلفات في علوم مختلفة .

(يتبع)
أحمد يوسف بمانه
الأستاذ بكلية اللغة العربية

إلى المتسابقين

ظهر كتاب « الإحاطة بما في الوساطة » بين اللتني وخصومه شرح وتهذيب الأستاذ « محمد حسين عيد » للدرس بمدرسة (المحمودية) الأميرية بالبحيرة .

يطلب من المؤلف ومن المكاتب الشهيرة بالقاهرة والأقاليم

إلى عشوة المعاصرين والمصابين بالاضطرابات العصبية

ترسل تعليمات مجانية من شرح طرق وتدريبات تملك كيف تتخلص من الخوف والوم والنجل والكآبة والوسواس ومن جميع الاضطرابات العصبية والعمادات الضارة كشرب الدخان ومن الملل والآلام الجسدية وفي تقوية الذاكرة والإرادة ودراسة الفنون المتناطيسية لمن أراد احتراف التتويم المتناطيسي والحصول على دبلوم في هذا الفن اكتب إلى الأستاذ أفريد توما ٧١٩ شارع الخليج المصري بعمرة بمصر وارفق بطلبك ١٥ ملية طوابع المصاريف فتصلك التعليمات مجاناً .